نماذج من جهود علماء المالكيّة القيروانيين في دحض الانحرافات والبدع العقدية الفاطمية بالمغرب الإسلامي في القرن الرابع هجري (العاشر ميلادي)

Examples of the Maliki scholars of Kairouan' efforts in refuting the deviations and heresies of Fatimid creed in the Maghreb region during the fourth century AH

لعموري مياد[1]
طالب دكتوراه جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة–
مخبر المؤسسات الجزائرية عبر التاريخ ودورها في التنمية الوطنية
lmiad@univ- dbkm.dz
د. نورالدين شعباني
جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة–
nourchabani@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/11/03 القبول 2021/10/31 النشر على الخط 2022/03/15
Received 03/11/2020 Accepted 31/10/2021 Published online 15/03/2022

ملخص:

سنحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على جهود علماء المالكية بالقيروان في محاربة الانحرافات والبدع العقدية التي صاحبت ظهور الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري، والتي كان للخلفاء الفاطميين ودعاتهم الدور الكبير في محاولة غرسها في المجتمع المغاربي، وقد مزجوا فيها العقيدة والمبادئ الإسماعيلية بالخرافات والأساطير موافقة لأهوائهم وخدمة لأغراضهم السياسية ،وقد تصدى طائفة من علماء وفقهاء المغرب على رأسهم فقهاء المالكية بالقيروان لهذه الانحرافات العقدية بشتى الوسائل والأساليب والطرق الشرعية، وهذا حفاظا على العقيدة السنية، ولقد عانوا في سبيل ذلك الويلات حتى قال فيهم الدباغ في معالم الإيمان: "جزى الله مشيخة القيروان، هذا يموت وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة".

الكلمات المفتاحية: المالكية، القيروان، البدع، الدولة الفاطمية، المناظرات.

Abstract:

Enter Throughout this study, we will try to shed light on the efforts of Maliki scholars in Kairouan in combating the deviations and doctrinal heresies that accompanied the emergence of the Fatimid state in the Islamic Maghreb during the fourth century AH. The Fatimid caliphs and their advocates had a great role in trying to implant these deviations in the Maghreb society, in which they mixed the Ismaili beliefs and principles with myths and legends to serve their whims and political aims. Facing this threat, a group of the Maghreb's Maliki scholars, led by the Maliki jurists in Kairouan, confronted these doctrinal deviations by various means and legal methods, in order to preserve the Sunni creed. Consequently, they were chased and persecuted. Highlighting this suffering in his book of "Maealim al'iiman", Al-dabbagh states, "...May Allah rewards the sheikhdom of Kairouan, they were either killed, beaten, or imprisoned. However, they were patient and did not flee, and if they fled, all people would have disbelieved at the same time".

Keywords: Malikism, Kairouan, heresies, Fatimid state, debates.

[1]– المؤلّف المراسل: لعموري مياد البريد الإلكتروني:lmiad@univ-dbkm.dz

1. مقدمة:

إن المتتبع لسيرة حكام الدولة الفاطمية في مرحلتها المغربية يجد أن لهم دور كبيراً في نشر وتفشي كثير من البدع العقدية في المجتمع المغاربي منذ أن وطَأت أقدامهم أرض المغرب كادعاء بعضهم للمهدية والرسالة وعلمهم بالغيب حتى وصل الأمر لبعض أتباعهم إدعاء الألوهية لعُبيد الله المهدي، وتعتبر هذه البدع نتاج مزجهم ببين العقيدة الشيعية الإسماعيلية بالخرافات والأساطير وحتى المعتقدات الفارسية الماجوسية [1] ،وهذا موافقة لأهوائهم وخدمة لأغراضهم السياسية وكانت هذه البدع و الانحرافات إحدى أهم وسائل تثبيت حكمهم في بلاد المغرب وقد تصدت مجموعة من علماء وفقهاء المالكية بالقيروان لهذه البدع بشتى الوسائل والأساليب والطرق الشرعية، فكان لهم سعي مشهود في تحصين العقيدة السنية المالكية ببلاد المغرب، كما وقف بعضهم موقفاً صلباً إزاء ما تسلل إليها من انحرافات عقدية، حتى قال فيهم الدباغ في معالم الإيمان: "جزى الله مشيخة القيروان، هذا يموت وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة" [2] وقد وردت عنهم في كتب التراجم والتاريخ نصوصاً عديدة تروي دورهم في الحفاظ على الهوية العقدية لأهل المغرب.

2. مدخل مفاهيمي:

1.2 مدينة القيروان:

مدينة عظيمة بإفريقية يقول عنها ياقوت الحموي بأنه ليس ببلاد المغرب أجل منها [3]، وهي أول المدن التي أنشأها المسلمون أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة 50 هجري /670 ميلادية ،كما تعد أعظم مدن المغرب طُرًّا وأكثرها بشراً وأيسرها أموالاً وأوسعها أحوالاً وكان الغالب على أهلها التمسك بالخير والتخلي عن الشبهات واجتناب المحارم [4].

2.2 علماء المالكية القيروانيين:

المقصود بعلماء المالكية هم العلماء الذين تَرَجَح عندهم مذهب الإمام مالك على سائر المذاهب واعتقدوا أنه أصح المذاهب[5]، القيروانيين أو القرويين نسبة إلى مدينة القيروان[6]، وهم كل من استوطن مدينة القيروان؛ وعليه فالمقصود بالدراسة العلماء الذين انتسبوا إلى مذهب الامام مالك ومدينة القيروان.

3.2 الدولة العُبيدية أو (الفاطمية):

هي إحدى الدول الشيعية الإسماعيلية المتطرفة التي ظهرت في العصر الوسيط بالمغرب الإسلامي وفصلته عن الخلافة العباسية، ونشرت فيه مذهبها الشيعي الإسماعيلي، وهي دولة ينسب مؤسسيها أنفسهم إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعظِّم أتباعها أهل بيت النبوة ويُغالي بعض أفرادها في تعظيمهم لدرجة لا يُقرها الدين الإسلامي الصحيح، ولا العقل السليم[7] ، ولقد أُطلِق عليها الدولة

---

[1]- فاطمة بلهواري، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، دط، دار المسك للطباعة والنشر الجزائر،2011 م، ص31.

[2]- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق ابراهيم شبوح، ط1، مكتبة الخانجي، 1968م، ج2، ص292.

[3]- أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، دط، دار صادر، بيروت، لبنان، ج4، ص420.

[4]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار معروف عواد، ط1،دار الغرب الإسلامي ،تونس،2013م، ج1، ص217.

[5]- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، فتاوى بن رُشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ج2، ص1060.

[6]- ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص421.

[7]- مرمول محمد صالح، السياسية الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص7.

العُبيدية نسبت إلى مؤسسها عُبيد الله المهدي الشيعي[1]، أما تسميتها بالدولة الفاطمية فهو نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي يدعون الانتساب إليها.

4.2 تعريف البدعة وأقسامها:

- **تعريف البِدْعَةُ:**

- في اللغة :

كتب ابن منظور في معجمه الكبير (لسان العرب) في مادة (بدع): « بَدَعَ الشيء يبدَعُه بَدعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه. وبدع الركية: استنبطها وأحدثها. وركِيٌّ بديعٌ: حديثة الحفر والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولاً. وفي التنزيل: ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**ۖ**إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ [الأحقاف: 8] أي: ما كُنت أول من أَرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير. والبدعة: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال» [2].

ويعرفها الفيروزآبادي بأنها الحدث في الدين بعد الإِكْمالِ، أو ما استُحدث بعد النّبي صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال.[3]

- في الاصطلاح :

عَرّف العلماء البدعةَ بتعريفات كثيرة، ولعل من أجمع وأشمل هذه التعريفات ما ذكره الشاطبي في كتابه الاعتصام حيث قال: «طريقة في الدين مخترعة تُضاهي الشرعية يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه» [4].

كما عرفها محمد رشيد رضا بقوله: « هي ما لم يكن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجئ به من أمر الدين كالعقائد والعبادات»[5].

- **أقسام البدعة:**

- البدع العقدية:

وهي البدع التي تتعلق بأصول الدين، أي كونها اعتقاد للشيء على خلاف الحق مما بيَّنه الله عزَّ وجلَّ، وبيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وعليه الجماعة من صحابة رسول الله صل الله عليه وسلم والقرون المفضلة، وتشمل أركان الإيمان الستة [6].

---

[1]- عبيد الله المهدي الشيعي: مؤسس الدولة العبيدية الإسماعيلية الباطنية في بلاد المغرب الإسلامي وأول خلفائهم ،اختلف الناس في نسبه الى الحسين بن علي رضي الله عنهما بين مؤيدين لما ادعاه من النسب الشريف وبين دافعين ومانعين ما انتحله و أنّ انتسابه للطالبيين دعوة باطلة ولد بالسلمية ببلاد الشام وقيل ببغداد وقيل بالكوفة وكانت ولادته سنة 259 هـ وقيل 260 هـ وقيل 266 هـ اختط مدينة المهدية وجعلها قاعدة لحكمه ومات ودفن بها سنة 322 هجري للمزيد انظر: أبو العباس بن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج2، ص192. /ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص188. /أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ،تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دط، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت، ص37.

[2]- أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1999 م ،الجزء الأول،ص341 .

[3]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ،القاموس المحيط ،دط ،دار الحديث ،القاهرة ،مصر،2008 م، ص103.

[4]- أبي اسحاق ابراهيم الشاطبي، الاعتصام، دط، مكتبة التوحيد، د ت،ج1 ،ص41.

[5]- منوبة برهاني، مظاهر البدعة ووسائل محاربتها عند محمد رشيد رضا، مجلة الصراط، المجلد1، العدد 16، 2008 ص136.

[6]- سيدي علي العيد، البدع بالغرب الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين دراسة اجتماعية لمملكة نصر، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاسلامية ،قسم اللغة والحضارة العربية الاسلامية، تخصص تاريخ وحضارة، 2012/2011م، ص81./سعيد بن ناصر الغامدي حقيقة البدعة وإحكامها،ج2، مكتبة الرشد ،الرياض، السعودية، ص 306 ،الطبعة الثالثة،1999م.

- **البدع الفقهية (العملية):**

والمقصود به البدع المتعلقة بالأعمال والأقوال، وقد تسمى بدعاً عملية وأمرية وعبادية وشرعية، وقد يدخل تحت هذه المسميات بدع الأخلاق والسلوك[1].

وأقصد بالبدع العقدية الفاطمية البدع التي تخص الجانب العقدي وكان لحاكم الدولة الفاطمية ودعاتها الدور الأكبر في نشرها في بلاد المغرب الإسلامي.

3. نماذج من الانحرافات و البدع العقدية الفاطمية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري:

1.3 إدعاء الأُلُوهية والرسالة لعبيد الله المهدي:

من أهم البدع العقدية التي ساهم حكام الدولة الفاطمية في نشرها هي تأليه عبيد الله المهدي الشيعي من طرف أتباعه، وقد كان شعراء الدولة العبيدية يمدحون خلفاءهم إلى درجة الكفر البواح، فاستجازه وأقره الخلفاء ونشروا هذا الشعر بين الناس[2].

وقد شبه الشعراء الفاطميون المهدية بمكة، وقصر المهدي بالكعبة بل وصل الأمر بأحمد بن البلوى النخاس وهو أحد أتباع عُبيد الله الشيعي إلى تغيير القبلة حيثما يكون عُبيد الله، فكان يصلي إلى رقَّادة أيام يكون عُبيد الله بها وهي منه في المغرب، فلما انتقل عُبيد الله إلى المهدية صلّى إليها، وهي منه في المشرق، وكان يقول: لستُ ممن يعبُدُ من لا يُرى، وكان يقول في عُبيد الله لأهل القيروان: إنه يعلم سِركم ونجواكم[3].

وجاء في معالم الإيمان أن ربيع القطان [4] عُوتب في خروجه مع أبي زيد الخارجي[5] إلى حرب بني عبيد فقال: وكيف لا أفعل وقد سمعت الكفر بأذني؟ فمن ذلك أني حضرت إشهادا وكان فيه جمع كثير من أهل سنة ومشارقة وكان بالقرب مني أبو قضاعة الداعي، فأتى رجل مشرقي من أهل الشرق ومن أعظم المشارقة فقام إليه رجل مشرقي وقال إلى هنا يا سيدي إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا قضاعة الداعي ويشير بيده إليه، فالخليفة العبيدي الإله وداعيه أبو قضاعة رسوله[6].

---

[1]- سيدي علي العيد ، مرجع سابق، ص28 و سعيد بن ناصر الغامدي، مرجع سابق، ص306.

[2]- ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق ،ج1،ص160/محمد علي الصلابي، الدولة العبيدية في ليبيا،ط1،دار البيارق، عمان، الأردن ،1998 م/1418 هـ، ص 86 -87.

[3]- ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ج1،ص202 ./محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص86 -87.

[4]- ربيع القطان: هو أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله القرشي: القيرواني، الفقيه، المفتي، المقرئ المفسر، الحافظ ،المحدث ، وكان لسان افريقية في وقته في الزهد والورع ولد سنة 288 هجري و استشهد في الوادي المالح في حصار المهدية سنة333 هـ وقيل في صفر 334 هـ للمزيد انظر الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص30: /قاسم علي سعيد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ط1، دار البحوث للدارسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة،2002 م، ج1، ص272/محمد مخلوف ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج1، ص125.

[5]- أبو يزيد الخارجي: هو أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعيد من بني يَفرن ،ويفرن هو أبو الكاهنة وينتسب إلى جانا بن يحي أبو زَناتة كُلّها، وهو رجل أخذ بمذهب النكار من الصفرية الخوارج وكان يرى الخروج على السلطان واستباحة الأموال والدماء وقد خرج بناحية جبل أوراس لما مات عُبيد الله المهدي تلقّب بشيخ المؤمنين ودعا للناصر صاحب الأندلس من بني أمية فاتبعه أمم من البربر، وقد لقب بصحاب الحمار لركوبه حماراً اهدى اليه لما اراد القيام بثورته للمزيد انظر: ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق،ج1، ص205-228 /عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ بن خلدون ،تحقيق خليل شحادة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر،بيروت،لبنان،2001م/1421هـ، ج4، ص25.

[6]- الدباغ، مصدر سابق، ج3، ص31-32./محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص86 -87.

ومما يذكره المؤرخون من ادعاء عُبيد الله للرسالة أنه لما وصل إلى رقّادة[1]،أرسل إلى القيروان، للإتيان بأبي بكر بن هذيل[2] وإبراهيم بن البردون[3]، وكانا فقيهان فاضلان من فقهاء القيروان، فلما وصلا إليه وجداه جالسا على سرير ملكه، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي[4]، وعن يساره أخوه أبو العباس، فقالا للشيخين: أتشهد أن هذا رسول الله؟ فقالا بلفظ واحد: «والله، لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره، يقولان: إنه رسول الله، ما قلنا ذلك»، فأمر بذبحهما، وبربطهما إلى أذناب البغال[5].

2.3 القدح والطعن والسب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أظهر أتباع بني عبيد سب الصحابة رضوان الله عليهم، وطعنوا فيهم، وزعموا أنهم ارتدوا بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم وخصصوا دعاة للنداء بذلك في الأسواق، وعلقوا رؤوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت والدواب، وكتبوا عليها أسماء الصحابة، وكان هذا العمل الخسيس من الحرب النفسية التي اشتد أثرها على أهل القيروان وعلمائها فمن ذكر الصحابة بخير أو فضل بعضهم على علي، قتل أو شجن فلم يكن أحد يذكرهم بالثناء إلا في دور العلماء[6].

يذكر ابن عذاري صاحب "البيان المغرب"أن عبيد الله المهدي عندما دخل إفريقية أظهر التشيع القبيح وسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه حاشا علي بن أبي طالب والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري، وزعم أن أصحاب النبي ارتدوا بعده غير هؤلاء الذين سميناهم" [7].

3.3 إسقاط الفرائض وتعطيل الشّرائع:

أسقط الفاطميون الفرائض عمنّ تبع دعوتهم، ومن بين طقوسهم في ذلك إدخال أتباعهم إلى داموس ويدخل عليهم عبيد الله لابساً فروا مقلوباً دابّاً على يديه ورجليه ، فيقول لهم :"بَح" ، ثم يخرجهم ويفسّر لهم هذا العمل بقوله : «فأما دخولي على يدي ورجلي فإنما أردت بذلك أن أعلمكم أنكم مثل البهائم لا شيء عليكم ؛ لا وضوء ولا صلاة ولا زكاة ولا شيئاً من الفروض، سقط جميع ذلك عنكم، وأما

---

[1]- رَقّادَةُ: بلدة بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام، خطها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة263 هجري ،وكانت رقّادة دار ملك لبني الأغلب الى على أن هرب عنها زيادة الله من أبي عبد الله الشيعي المهدي وسكنها عُبيد الله إلى أن انتقل على المهدية سنة 308 هجري للمزيد انظر: ياقوت الحموي مصدر سابق ،ج3،ص55./ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق،ج3، ص 216.

[2]- أبو بكر بن هذيل: الفقيه، الورع، الزاهد قتله عبيد الله الشيعي سنة 299 هجري للمزيد انظر: الدباغ مصدر سابق،ج2،ص266.

[3]- ابن البرذون :هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي، القيرواني، الفقيه ،يعرف بابن البرذون وكان عالما، بارعا في العلم يذهب مذهب الحجة والنظر، ولم يكن في نَشَأة القيروان أقوى على الحجة والمناظرة منه، قتل مظلوماً بالقيروان مع أبي بكر بن هذيل بأمر من عُبيد الله الشيعي سنة 297 هجري للمزيد انظر: قاسم علي سعيد، مرجع سابق ص 175. /الدباغ، مصدر سابق، ج2، ص261.

[4]- أبو عبد الله الشيعي: الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي و الصنعاني والداعي والمحتسب، من أهل مدينة صنعاء باليمن وقيل من الكوفة القائم بدعوة عُبيد الله المهدي للمزيد انظر: أبو العباس بن خلكان، مصدر سابق، ج2، ص192-194./ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص168 -190.

[5]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج5، ص119-120.

[6]- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج5، ص154./الحسين محمد شواط، مدرسة الحديث بالقيروان، الجزء الأول، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، الرياض،1411 هجري، ص73-86.

[7]- ابن عذاري المراكشي ،مصدر سابق،ج1،ص126.

لباسي الفرو مقلوباً فإنما أردت أن أعلمكم أنّكم قلبتم الدّين الذين كنتم عليه ودخلتم في هذا الدين، وأما قولي لكم : بَح، فإنّما أردت أن أعلمكم أنّ الأشياء كلّها مباحة لكم من الزنا وشرب الخمر... » [1].

وقد قام عدد من الناس بأكل الخنزير وشرب الخمر في شهر رمضان جهاراً بالقيروان وباجة وتونس وجاهروا بأفعالهم، وكان ذلك بدسيسة من عُبيد الله الشيعي، وعَلِمَ بذلك الخاص والعام حتى عُيِّر به ابنُه أبو القاسم، فلما ارتجَّ الناسُ وكثر القول سجنهم مُداراةً وكفاً للناس [2].

4.3 تقديس وتعظيم أئمتهم:

بلغ الفاطميون في تمجيدهم للأئمة مبلغاً عظيماً، وهناك أخبار كثيرة تتعلق بمظاهر الغلو في سلوك الأئمة الفاطميين ذاتهم في تقديسهم لأنفسهم، ومما ورد عن إسماعيل المنصور بن القائم[3] أنه خطب في كتامة إثر وفاة أبيه القائم[4] الخليفة الثاني فقال: «اللهم إني أصبحت راضيا راضيا عن كتامة لاعتصامهم بحبلك، وصبرهم على البأساء والضراء في جنبك، تعبدا لنا، واعترافا بفضلنا، وأداء لما افترض الله على العباد لنا، توسلا إليك بطاعتنا، اللهم فارض عنهم، وضاعف حسناتهم، وامح سيئاتهم، واحشرهم في زمرة نبيك الذي دانوا به، ووليك الذي والوه ...» [5].

وقد كانت صيغة اليمين عند الفاطميين باسم المهدي وليس باسم من أسماء الله تعالى كما هو الشأن عند المسلمين عامة، حيث كانت صيغتهم في اليمين "وحق عالم الغيب والشهادة مولانا الذي برقادة" ، وهي صياغة لا تتضمن الغلو فقط، وإنما هي كفر صريح لأن فيه إشراك للمخلوق مع الخالق في إحدى خصائصه وهي معرفة الغيب[6].

5.3 التنجيم والكهانة :

بالعودة إلى المصادر التي أرخت للدعوة العبيدية الفاطمية نجد أنها اهتمت بالتنجيم والنبوءات والكهانة حتى قيل أن علمهم بذلك كان أحد أسباب وصولهم إلى خلافتهم وبعد نجاح دعوتهم بقيادة أبي عُبيد الله الشيعي استمر رجمهم بالغيب، فعبيد الله المهدي أكد لأتباعه أنه سيكون صاحب الدولة معتمداً على بعض الظواهر الفلكية، ومع أن هذه الأمور قد يلجأ إليها بعض الزعماء لتشجيع الأتباع وإثارة حماستهم، فإنها قد قُبلت من المهدي وأتباعه على أنها حقائق ثابتة [7].

---

[1]- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ج2، ص505.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص201.

[3]- المنصور بالله: أبو العباس إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله ،ثالث الخلفاء العبيديين في بلاد المغرب ولد بمدينة المهدية سنة 299 هـ و قيل سنة 302 هـ ،و ولي بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله سنة 334 هـ، وتوفي سنة 341 هـ للمزيد انظر: ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص59-81.

[4]- محمد القائم :كنيته أبو القاسم بن عبيد الله، ثاني الخلفاء الفاطميين، ولد بسلمية من بلاد الشام سنة 280 هـ بويع يوم مات أبوه سنة 322هـ، خرج في أيامه أبو يزيد الخارجي، ومات وهو محارب له سنة 334 هـ للمزيد انظر: ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص53-57.

[55]- عبد المجيد بن حمدة، مرجع سابق،ص246.

[6]- ابن عذاري المراكشي ،مصدر سابق،ج1،ص160. /موسى لقبال ،دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، دط ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1979م، ص410.

[7]- طارق بن زاوي، مظاهر الزندقة في المغرب والأندلس وآثارها السياسية من القرن 1 هجري الى القرن 7 هجري ،اطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، اشراف نشيدة رافعي،2017 م/2018 م،ص211.

ويُظهر بناء مدينة المهدية مزيداً من علامات التكهن والعرافة والرجم بالغيب التي عرف بها عُبيد الله المهدي، فيذكر بن حماد الصنهاجي في كتابه" أخبار بني عبيد وسيرتهم "أن المهدي كان له بصر بعلم النجوم فاختطها (المهدية) بطالع الأسد لأنه برج ثابت ولذلك ثبتت، ولأنه بيت الشمس الذي هو دليل الملوك ولذلك كان الملك فيها، وعاد (المهدي) إليها بعد استيطانه القيروان"[1].

كما لا يفوتنا أن نشير الى أن الفاطميون اهتموا اهتماماً بالغاً بتحصيل العلوم الغيبية مثل علوم النجامة أو علم النجوم وذكر القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسيرات أن الخليفة المنصور كان من الذين برعوا في هذا الميدان [2].

4. نماذج من جهود فقهاء القيروان المالكية في دحض البدع العقدية الفاطمية العُبيدية:

لما كانت البدعة في الدين مرض كل عصر، فقد تصدى لها في العصر الفاطمي الكثير من علماء السنة ومن أبرزهم فقهاء المالكية القيروانيين من أمثال محمد بن سحنون[3]، وابن الحداد[4] وأبو زيد القيرواني[5] من خلال إقامة السنة وإحياء قيم الأتباع ومناظرة الفرق الضالة، والرد العلمي العلمي عليها ومغالبتها بالحجج والتحذير الاجتماعي منها وتحصين العامة من مفاتنها وإقامة الحجة بنصيحة أهلها أو مناوأتهم ومعاداتهم، ومواجهة جرأتهم والانتفاضة المسلحة.

1.4 إقامة السنة وإحياء قيم الأتباع:

اتخذ مالكية القيروان مجالس التدريس والوعظ والإرشاد وسيلة لتحصين سكان القيروان والمغرب من البدع وترسيخ السنة فيهم، رغم أن العبيديين منعوهم من التدريس في المساجد ونشر العلم، غير أن هذا لم يمنعهم من الاجتماع بالناس سراً فيقول القاضي عياض عن هذا «... وغَلُظ الأمر على المالكية من هذا الحيز، ومنعوا من التحليق والفتيا فكان من يأخذ منهم ويتذاكر معهم أنما يكون سرا وعلى حال خوف ورقبة (ريبة) »[6].

ففتح العلماء والفقهاء بيوتهم للناس لفضح البدع والمعتقدات العبيدية واجتهدوا في تعميق عقائد أهل السنة وأصولهم وفقههم في قلوب أهل المغرب، وكان أبو إسحاق السبائي[7] يفتح داره ويأخذ في ذم العبيديين والتحذير منهم، وكان يُكثر من ذكر فضائل الصحابة والثناء

---

[1]- ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق،ص41.

[2]- القاضي النعمان المغربي، المجالس والمسيرات، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليغلاوي،ط1،دار المنتظر، بيروت، لبنان، ص 131.

[3]- أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التَّنُوخي: القيرواني، القاضي، الإمام رأس الفقهاء، الزاهد، وسحنون لقب له، واسمه عبد السلام وقد أفرد أبو العرب التميمي وحمد بن حارث الفَرَوِي مناقب سحنون بالتأليف، ولد سنة 160 هجري ويقال 161 هجري وتوفي سنة 240 هجري ،للمزيد انظر: الدباغ، مصدر سابق،ج2،ص77/قاسم علي سعيد ،مرجع سابق، ج6 ص502 وما يليها.

[4]- أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني المعروف بابن الحداد: الفقيه، اللغوي، النحوي المناظر المتكلم العالم بأخبار إفريقية وعلمائها ،العابد، ولد سنة 219 هجري ويقال 217 هجري وتوفي في رجب 302 هجري للمزيد انظر: قاسم علي سعيد، مرجع سابق ،ج1 ،ص 541 .

[5]- محمد بن ابى زيد القيرواني: هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني: الفقيه النظار الحافظ الحجة إمام المالكية في وقته ،إليه انتهت رئاسة الدين والدنيا وإليه الرحلة في الآفاق ،توفي سنة 386 هجري وسنه 76 سنة ودفن بداره في القيروان .للمزيد انظر :محمد مخلوف، مرجع سابق،ج1،ص 143-144. /الدباغ، مصدر سابق،ج3،ص109.

[6]- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،ط2 ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة،المغرب،1983م/1403 هـ ،ج5 ،ص121.

[7]- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي : العابد الورع، القدوة، رفيع القدر، ألف في مناقبه أبو عبد الله الأجدابي ولد سنة 270 هجري وتوفي 356 هجري. للمزيد انظر: قاسم علي سعيد، مرجع سابق، ج1، ص151.

عليهم وكانت داره كالمسجد لكثرة من يقصدها من الطلبة، وكذلك أحمد بن نصر الهواري [1] وأحمد بن يزيد الدباغ [2] فقد كانت بيوتهم منارة للعلم والرد على المبتدعة[3].

كما قام العلماء المالكيّة بتعليم وتدريس أولاد الموالين للعبيديين حتى يتربوا على السنة مثل ما قام به أبو أسحاق الجِبنيانِيّ [4] وغيره من تعليم أولاد الكتاميين(حملة الدعوة العبيدية)دون أن يأخذوا أجراً، ترغيباً لهم وغرساً لمنهج أهل السنة في نفوسهم[5].

2.4 مقاطعة العبيديين وبيان حكم الشرع فيهم:

عمل فقهاء المالكية على مقاطعة بني عبيد ومن بين مظاهر هذه المقاطعة هو امتناعهم عن خُطب الجمعة التي يتقدم إلى إلقائها العُبيديون الشيعة، فيذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك لما دخل عُبيد الله الشيعي إلى القيروان وخطب أول جمعة، وكان حاضراً أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان[6]، فلما سمع كفرهم قام قائماً، وكشف عن رأسه حتى رآه الناس، وخرج إلى آخر الجامع وهو يقول: قاطعوها قطعهم الله، فما حضرها أحد من أهل العلم بعد هذا [7].

ولقد قاطع المالكية العبيديين بوسائل أخرى نذكر منها رفض الصلاة على جنائزهم، وعدم السلام عليهم، وعدم مناكحتهم، فقد سُئِل أبو إسحاق الجبنياني عن إمكانية السلام على المتشيعين ومخالطتهم؟ فقال: « لا توادهم، ولا تسلموا عليهم ولا تناكحوهم، فإن من فضل علياً على أبي بكر وعمر فقد أزرى باثني عشر ألف صحابي... »[8].

وبيَّن العلماء من خلال فتواهم حكم الشرع في بني عبيد وبدعهم فأفتوا بكفر من يعتنق مذهب العبيديين ولو مكرهاً، فقد جاء في "معالم الإيمان" فتوى فيمن دخل مذهب العبيديين بإكراه هل يكفر بذلك أم لا؟ فأجاب الشيوخ أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني وأبو القاسم بن شبلون[9] وأبو الحسن القابسي [1] وغيرهم "لا يعذر أحد في ذلك، لأنه أقام بعد علمه بكفرهم وكفرهم ارتداد وزندقة بخلاف غيرهم"[2].

---

[1]- أبو جعفر احمد بن نصر بن زياد الهواري :كان عالماً متقدماً بأصول العلم والمناظرة جيد القريحة حسن الكلام ،كان من أهل الفقه والرسوخ في المذهب المالكي ولد سنة 317 وتوفي رحمه الله سنة 336 وقيل 335 هجري للمزيد انظر: محمد الطالبي–تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، دط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ،تونس،1968م ،ص366.

[2]- أبو الحسن أحمد بن يزيد الدباغ: كان من أهل العلم والورع والتعبد ،وكان إماماً في الفقه والحديث، توفي سنة 365 هجري للمزيد انظر :القاضي عياض ،مصدر سابق، ج6، ص258 وما يليها.

[3]- الصلابي، مرجع سابق، ص80 .

[4]- أبو إسحاق الجِبنيانِيّ: إبراهيم بن أحمد بن علي بن مسلم البكري ،مكان من أعلم الناس باختلاف العلماء حسن القراءة للقرآن يحسن تفسيره وإعرابه وناسخه ومنسوخه توفي سنة 369 هجري للمزيد انظر :القاضي عايض، مصدر سابق ،ج6 ،ص222.

[5]- الحسين شواط ،مدرسة الحديث في القيروان ،ص80./القاضي عياض، مصدر سابق ،ج6،ص246.

[6]- أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصَّدَفي : من أبناء القادمين مع الأمير حسان بن النعمان ،كان بقصر طوب ثم لزم القيروان ،الزاهد ،له كرامات وكان مستجاب الدعوة ، ولد سنة 210 هجري وتوفي سنة 299 هجري. للمزيد انظر: قاسم علي سعيد، مرجع سابق، ج1 ص375./محمد مخلوف، مرجع سابق،ج1،ص110./الدباغ، مصدر سابق، ج2، ص270.

[7]- القاضي عياض، مصدر سابق ،ج4،ص376.

[8]- الهنتاتي ، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي،ط1،تبر الزمان، تونس، 2004 م،ص167.

[9]- أبو القاسم بن شبلون: من العلماء الراسخين المقتدى بهم في الدين، جمع الفقه الحسن والأحوال السنية وسرعة الاجابة والتواضع وعلم الأحكام والنوازل ،وكان مفتي الحاضرة والبادية ونزاهة وعفة وطهارة صدر وحسن خلق ،توفي سنة 390 هجرية. للمزيد انظر :الدباغ ،مصدر سابق ،ج2 ،ص 123.

ويذكر الذهبي في كتابة سير أعلام النبلاء إجماع علماء المغرب على محاربة العبديين فيقول: "أجمع علماءُ المغرب على محاربة آل عُبيد لما شهروه من الكفر الصراحِ الذي لا حيلة فيه، وقد رأيتُ في ذلك تواريخ عدةٍ، يُصدق بعضُها بعضاً"[3].

3.4 المناظرات والردود العلمية:

من بين الجهود التي بذلها علماء المالكية بالقيروان فيدحض البدع العقدية هو مناظرة الفرق الضالة والرد العلمي عليها ومغالبتها بالحجج عن طريق المناظرات والمساجلات والتأليف ونظم الشعر.

- **المناظرات والمساجلات:**

كانت تعقد هذه المناظرات والمساجلات العلمية في المجالس العامة والخاصة وفي المساجد وحتى البيوت، وأفرد الخشني في طبقاته (طبقات علماء افريقية) باباً يذكر فيه أهم العلماء المالكية بالقيروان الذين عرفوا بالمناظرة والجدل سماه باب "تسمية من انتحل النظر وتحلى بالجدل من أهل السنة وغيرهم من طبقات العلماء بالقيروان"[4].

ومن أبرز علماء القيروان المالكية الذين عرفوا بمناظرة ودحض البدع الفاطمية نذكر ابن البرذون الذي كان قوي الحجة في الجدل، ولم يكن في شبابه أحد أقوى على الجدل والمناظرة وإقامة الحجة على المخالفين منه، ومنهم الإمام محمد الرقادي القيرواني[5] الذي كان – هو الآخر – من أئمة هذا الشأن، وكانت له في هذا الميدان مقامات مشهودة، ذب فيها عن مذهب أهل السنة[6].

ومن أشهر من عرف من علماء المالكية بالقيروان في مناظرة الشيعة أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد يقول عنه الدباغ: «كان يرد على أهل البدع المخالفين للسنة وله في ذلك مقامات مشهورة وآثار محمودة ناب فيها عن المسلمين أحسن مناب حتى مثله أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام المحنة وذلك أن بني عُبيد لما ملكوا القيروان أظهروا تبديل مذهب أهل البلد ....وكان هو المعتمد عليه في المناظرة»[7].

ومن بين هذه المناظرات على سبيل المثال لا الحصر نذكر مناظرات أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد حيث دعاه مرة دعا عُبيد الله المهدي وذكر له حديث: «من كُنت مولاه فعلي مولاه» وقال له: ما بال الناس لا يكونون عبيدنا؟ فقال له ابن الحداد : لم يرد ولاية رق وإنما أراد ولاية في الدين وذكر قول الله عز وجل: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُوتِيَهُ اُللَّهُ اُلْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اِللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّنَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ اَلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَامُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ اُلْمَلَٰٓئِكَةَ**

---

[1] أبو الحسن القابسي :هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري الفقيه النظار الأصولي المتكلم الإمام في علم الحديث وفنونه وأسانيده وله تآليف بديعة ،كان مولده سنة 324 هجري وتوفي بالقيروان سنة 403 هجري. للمزيد انظر : محمد قاسم مخلوف ،مرجع سابق ،ج1 ،ص 145.

[2] للمزيدانظر:الدباغ،مصدرسابق،ج2،ص265./ابراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون،بيروت،لبنان،ط2005،1 م،ص313

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج5، ص154.

[4] محمد بن الحارث الخشني، طبقات علماء إفريقية، تحقيق محمد زينهم ومحمد عزب، مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر،ط1993،1 م ،ص60.

[5] محمد بن فتح الرقادي: ولد برقّادة و بها نشأ وظهر في آخر أيام ابن الحدّاد ،وكان يذهب مذهب الجدل والمناظرة والذّب عن السنة ومذهب أهل المدينة ،وهو من مشاهير المتكلمين والنظّار بالقيروان. للمزيد انظر: محمد الطالبي، مرجع سابق، ص398.

[6] إبراهيم التهامي، مرجع سابق، ص326.

[7] الدباغ ،مصدر سابق، ج 3،ص298.

﴿وَالنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذَ أَنتُم مُّسۡلِمُونَۖ﴾ آل عمران: [78-79]فما لم يجعله الله عز وجل لنبي لم يجعله لغير نبي، وعلي لم يكن نبيًا، وإنما كان وزير النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عُبيد لله له: انصرف لا ينالك أحد[1].

ويذكر أن أبا عبد الله الشيعي قال له يوماً: القرآن يقر أن محمداً ليس بخاتم النبيين. فقال له ابن الحداد أين ذلك؟ قال في قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: 40]. فخاتم النبيين ليس رسول الله. فقال له سعد: هذه الواو ليست من واوات الابتداء، وإنما هي من واوات العطف كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الحديد: 03] فهل من أحد يوصف بهذه الصفات غير الله عزو جل ؟[2].

- **التأليف:**

من أهم وسائل تصدى علماء القيروان المالكية للبدع العقدية هو التأليف وقد كان له أثر كبير في تبصير العامة ويمكن تقسم المؤلفات الى قسمين :

قسم يتضمن المؤلفات التي تتناول مسائل العقيدة جملة وفق منهج أهل السنة والجماعة، وقد كان لها أثر في ترسيخ السنة ودحض البدع المخالفة لها، ومن بين المسائل التي تتناولها مسألة الإمامة و الترضِّي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا من غير تفريق بينهم واعتبرهم جميعا عدولا خلافا للشيعة وغيرها من المواضيع العقدية الهامة التي تدخل ضمن الإطار العام لإيضاح العقيدة الإسلامية السنية[3] ،ويمكن أن نذكر من بين هذه الكتُب كتاب المدونة لإمام سحنون وكتاب "النوازل" أو "المسائل" لابنه محمد ومنها كتب محمد بن أبي زيد القيرواني ككتاب الرسالة، والنوادر والزيادات وغيرها وتعد هذه الكتب مصادر هامة على ذمة الفقهاء يرجعون إليها ويستنجدون بها ساعة الحاجة سواء للدرس أو الرد[4].

والقسم الثاني فيتضمن المؤلفات التي ألفت للرد على الشيعة وبدعهم وعقائدهم الباطلة نذكر منها كتابي "الإمامة" للأمام محمد ين سحنون التنوخي وهما من أعظم ما ألف في هذا الفن وكتابي إبراهيم بن عبد الله الزبيري[5] "الإمامة" و "الرد على الرافضة "[6].

ونجد في مقدمة المؤلفات المذكورة رد ابن أبي زيد على البدع الشيعة العبيدية ككتاب الاقتداء بأهل السنة، وكتاب الذب على مذهب مالك، وكتاب التنبيه على القول في أولاد المرتدين، وكتاب تفسير أوقات الصلاة، وكتاب المناسك، ورسالة إعطاء القرابة من الزكاة وكتاب فضل قيام رمضان وكانت مواضيع هذه الكتب كلها وقع التناظر فيها بين أهل السنة وأهل التشيع ومن ذلك أن كتاب فضل قيام رمضان هو في الواقع رد على البدعة الشيعية القائلة بعدم جواز قيام رمضان، لأن الرسول لم يفعل ذلك وإنما هو عمل أمر به عمر ، وموقفهم من عمر وبقية

---

[1]- للمزيد انظر: إبراهيم التهامي، مرجع سابق، ص348.

[2]- القاضي عياض، مصدر سابق ،ج5،ص82-83.

[3]- إبراهيم التهامي، مرجع سابق، ص348.

[4]- محي الدين سليمان إمام مديلي ،ابن أبي زيد القيرواني –عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع– ،رسالة دكتوراه ،جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية ،2000م ،ص553.

[5]- أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري :المعروف بالقلانسي كان رجلاً صالحاً فاضلاً فقيها عالماً بالكلام والرد على المخالفين ،امتحن على يدي أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي وتوفي رحمه الله سنة 359 هجري وقيل 361 هجري للمزيد انظر :القاضي عياض، مصدر سابق،ج6،ص257. /محمد مخلوف ،مرجع سابق،ج1، ص 140.

[6]- إبراهيم التهامي، مرجع سابق، ص348.

الصحابة معروف[1] ،ونجد كذلك في هذا الباب كتب ابن الحداد "عصمة النبيين" وكتاب "الاستواء" وكتاب "الاستيعاب" و كتاب "المقالات" حيث ذكر الدباغ أنه رد فيه على أهل المذاهب أجمعين[2].

4.4 صبرهم على الأذى وصمودهم نُصرة للسنة وتحصين للعامة:

لقد كان لصمود علماء المالكية في الميدان وعدم فرارهم إيثاراً للسلامة أبعد الأثر في تمسك العامة بالسُّنة ولو فروا لسهُل على العبيدين إغواء العامة، وقد أنكر عليهم أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي وكان من أئمة المالكية بالمغرب سُكناهم في مملكة بني عبيد وبقاؤهم بين أظهرهم، وكتب إليهم مرّة بذلك، فأجابوه بأنّ بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام وبقية صالحة للإيمان، وأنّه لو خرج من إفريقية لتشيّع من بقي فيها من العامة فرجّحوا خير الشرّين[3]. وفي ذكر صبرهم وصمودهم يقول الدباغ في معالم الإيمان: «جزى الله مشيخة القيروان هذا يموت وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة»[4]. واحدة»[4].

ومن الأمثلة على هذا الصمود قتل عبيد الله الشيعي لأبي بكر بن هذيل وإبراهيم بن البردون وربطهما إلى أذناب البغال و قد تقدم ذكر القصة، وقد تعرض الفقيه محمد بن العباس الهذلي[5] للضرب بالدرة، بعد أن شهد عليه قوم من المشارقة، بأنه يطعن على السلطان، ويفتى بقول مالك ضرب عريانا حتى سال الدم من رأسه، ثمّ أركب على حمار عريانا و طيف به في أسواق القيروان ثمّ حبس و ترك بعد ذلك[6].

ومنهم أبو بكر بن ذهيل الفقيه المالكي قُتل هو الأخر حين امتُحِن في سب الصحابة، داخل دار النحر وعندما رفض ذلك، قاموا بقتله بطريقة بشعة جدا[7] كما لقي أبو جعفر المعافري[8] نفس المصير بعد أن طلب القاضي الشيعي المروذي[9] من عبيد السودان بالقفز على ظهره ظهره إلى أن توفى، ولم تمر إلا أشهر حتى قُتِل المروذي بنفس الطريقة[10].

وفي هذا يقول أبو الحسن القابسي: «إن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخول عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل»[11].

---

[1]- محي الدين سليمان إمام مديلي، مرجع سابق،ص553 .

[2]- الدباغ، مصدر سابق، ص296.

[3]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج7، ص 103.

[4]- الدباغ، مصدر سابق، ج2، ص 292.

[5]- أبو عبد الله محمد بن العباس بن الوليد الذُّهلي: الفقيه سمع من محمد بن سحنون ومحمد بن يحي بن سلام وغيرهم قال عنه القاضي عياض :كان عالماً فقيهاً بمذهب مالك توفي سنة 329 هجري. للمزيد انظر: قاسم علي سعيد، مرجع سابق، ج3، ص1100 /أبو بكر المالكي، مصدر سابق، ج2، ص265.

[6]- أبو بكر المالكي، مصدر سابق، ج2، ص265.

[7]- نفسه، ص48-49.

[8]- أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري الأندلسي الفرضي: الفقيه ،العابد ،الصالح سمع من محمد بن نصر يحي بن معين وصاحب علي المديني ثم عاد الى القيروان واستوطنها الى ان مات بها شهيداً على يد عبيد الله. انظر: الدباغ ، مصدر سابق، ج2، ص 288 .

[9]- محمد بن يحي المرْوَزي أو المروذي :أول قاضي شيعي للدولة الفاطمية بالقيروان ، وكانت أيامه في القضاء صعبة جداً على أهل السنة مات سنة 303 هجري للمزيد انظر: بن عذاري المراكشي ،البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب،ج1،ص194-188. /الدباغ، مصدر سابق،ج2، ص290 وما يليها.

[10]- الدباغ، مصدر سابق،ج2، ص288./أبو بكر المالكي، مصدر سابق، ج2، ص52.

[11]- الدباغ، مصدر سابق، ص34.

5.4 الخروج بالسلاح لقتال بني عبيد:

لم يكتف علماء القيروان في محاربتهم لبدع بني عبيد بالمقاطعة والردود العلمية التي تعتمد على المناظرات والسجلات والتأليف بل تجاوزوا ذلك الى الجانب العسكري فمنهم من خرج لقتال الفاطميين كأبي يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان، حيث ترك رباطه و أتى القيروان فسأل عن سبب ذلك، فقال : كنّا نحرس عدوا بينه و بينه البحر فتركناه و أقبلنا على حراسة هذا الذي حلّ بساحتنا، لأنّه أشدّ علينا من الروم ، فكان إذا صلى الصبح خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة ومعه قوسه وسهامه وسيفه وترسه وجلس محاذياً لرقّادة فيقيم نهاره أجمع في ذلك الموضع و إذ سأل عن ذلك يقول أحرس عورات المسلمين من هؤلاء القوم فإن رأيت منهم شيئًا حركت المسلمين عليهم ولم يكن في وقته أكثر منه اجتهاداً منه في مجاهدة عبيد الله و شيعته وكان لا يداري أحدا في ذلك [1] وكان ينكر على من خرج من القيروان على على سوسة ونحوه من الثغور، ويقول: "جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك "[2].

ومن الأوائل الذين ثاروا على الشيعة أبو القاسم الحسن بن مفرج[3] وقد صلبه عبيد الله المهدي، هو و أبو عبد الله السدري [4] وكان بايعه أهل أهل القيروان وكثير من قبائل افريقية على جهاد عبيد الله المهدي[5] ، وذكر المالكي حوار جرى بين السدري وبين عبيد الله المهدي بعد أن قبضوا عليه وقربوه للقتل حيث قال له عبيد الله المهدي: أنت الشاتم لنا الذاكر عنا أنا أحدثنا في الإسلام الحوادث؟ فقال له السدري: نعم، أنا القائل ذلك، فقال له: وما الذي رأيته مِنَّا ؟ فأخبره بكل ما يعتقده في الدين وكل ما أحدث فيه . فقال لهم أضربوا عنقه فأخرجوه ليضربوا عنقه، فلما قرّب للقتل قال اللّهم لا تبقه بعدي ثم قتل رحمه الله تعالى، فلم يقم عبيد الله بعده إلا مدة يسيرة ثم ابتلاه الله عزّ وجلّ بعلة عظم فيها جسده ثم مات[6].

ومن أبرز محطات خروجهم على بني عبيد مشاركتهم في ثورة أبي يزيد الخارجي(332– 336هـ/934-947م) [7] وقد مثلت فرصة سانحة لعلماء المالكية بالقيروان للدخول في مرحلة المقاومة العملية المسلحة للفاطميين، إذ أنهم انضموا إليها وساندوها بالمال والعتاد والجند[8].

---

[1]- أبو بكر المالكي، مصدر سابق،ج2، ص37 -38.

[2]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج 4،ص376.

[3]- أبو القاسم حسين بن مُفَرَّج :مولى مهرية بنت الأغلب، له كتاب في تاريخ المولد والوفاة وقال عنه القاضي عياض: كان ذا عناية بالعلم وبصر بالوثائق ...وغلب عليه الحديث وكان عالماً به وبرجاله، قتله الشيعي في المهدية وصلبه سنة 308 هجري للمزيد انظر: قاسم علي سعيد، مرجع سابق ،ج1،ص422.

[4]- أبو عبد الله السدري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدري كان من العباد والزهاد ،كثير الحج والأسفار و التغرب عن الأوطان، ولم يذكر الخشني من نسبه غير لقبه السدري ووصفه بأنه رجل يعرف بالخير والعبادة وسماه بن عذاري المراكشي محمد الشذوني الزاهد للمزيد انظر : أبو بكر المالكي، مصدر سابق،ج2،ص 169.

[5]- الحسين شواط، مرجع سابق ،ص81.

[6]- أبو بكر المالكي، مصدر سابق، ج2، ص166 وما يليها. /إبراهيم التهامي، مرجع سابق، ص338.

[7]- اختلف المؤرخون حول تاريخ قيام ثورة أبي يزيد ؛فيرى الدباغ أن الإعداد لها كان سنة بين 308 ويوردها بن خلدون سنة 310 للمزيد انظر :فاطمة بلهواري، مرجع سابق، ص349 -350

[8]- نجم الدين الهنتاتي، مرجع سابق، ص168.

5. خاتمة:

على ضوء هذا البحث نستخلص جملة من النتائج أهمها:

1-كان لحكام الدولة الفاطمية دور كبير في نشر وتفشي البدع العقدية في المجتمع المغاربي لموافقتها أهواءهم وخدمة لأغراضهم السياسية، إذ كانت أهم وسائلهم لتثبيت حكمهم في بلاد المغرب الإسلامي. وتعتبر هذه البدع نتاج مزجهم لعقيدتهم الإسماعيلية بالخرافات والأساطير.

2- تنوعت جهود العلماء المالكية بالقيروان في دحض البدع العقدية والتشديد على إنكارها والبعد عنها فاستخدموا كل الوسائل والأساليب المتاحة لهم من مناظرات ومجالس علمية وتأليف الكتب ونظم الشعر والمشاركة في الثورات بالقتال وشحذ الهمم ورفع المعنويات فجاهدوا بذلك بأيديهم وألسنتهم وأقلامهم.

3- عظم علماء المالكية بالقيروان كتاب ربهم وسنة نبيهم وأعطوا المكانة المناسبة والمرموقة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وقد جعلوا ذلك منهجا لهم في تقرير العقيدة والرد على أهل الأهواء والبدع وعلى رأسهم حكام الدولة الفاطمية رأس وبؤرة البدع العقدية.

4- قام علماء المالكية بالقيروان بمحاربة بدع حكام الدولة الفاطمية، وبينوا الحق في ذلك بدليله من الكتاب والسنة، وقد لقوا في سبيل ذلك انواع الأذى من السّب والشتم والوشاية ووصل الأمر إلى قتل العديد منهم وتعرضوا لكثير من المحن والمصاعب.

5- أن دعوة علماء المالكية بالقيروان في العصر الفاطمي التي اعتمدت على تقرير العقيدة الصحيحة ونبذ البدع قد نجحت في تمسك المجتمع القيرواني بشكل خاص والمغاربي بشكل عام بعقيدته السنية الصحيحة خالية من البدع وكانت سببا في تمسك العامة بالسُنة ومنع إغوائهم من طرف العبيديين.

6- نجح علماء السنة المالكية بالقيروان في الدفاع عن عقيدتهم وإبدائهم مقاومة شديدة في سبيلها ضاربين في ذلك أروع صور الإخلاص والصبر في سبيل نصرة مذهب أهل السنة والجماعة منذ قيام الدولة الفاطمية إلى غاية انتقالها إلى مصر.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1 - فاطمة بلهواري، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، دط، دار المسك للطباعة والنشر،الجزائر،2011م.

2 - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دط، دار صادر، بيروت، لبنان دت،ج4.

3 - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار معروف عواد ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،تونس،2013م ،ج1.

4 - أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي ،فتاوى بن رُشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،1987م،ج2.

5 - مرمول محمد صالح، السياسية الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، دط ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1983م.

6 - أبو العباس بن خلكان ،وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دت ج2.

7 - أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي ،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ،تحقيق التهامي نقرة و عبد الحليم عويس، دط، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة ،مصر، دت.

8 - أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب ، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1999 م ،ج1.

9 - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ،القاموس المحيط، دط، دار الحديث، القاهرة مصر،2008 م.
10 - أبو اسحاق ابراهيم الشاطبي، الاعتصام، دط، مكتبة التوحيد، د ت،ج1.
11 - سعيد بن ناصر الغامدي ،حقيقة البدعة وإحكامها،ج2 ، مكتبة الرشد ،الرياض، السعودية الطبعة الثالثة،1999م.
12 - محمد علي الصلابي، الدولة العبيدية في ليبيا،ط1،دار البيارق، عمان، الأردن 1998م/1418 هـ.
13 - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الدباغ ،معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ،تحقيق ابراهيم شبوح،ط1،مكتبة الخانجي،1968م،ج3.
14 - قاسم علي سعيد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية،ط1،دار البحوث للدارسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة،2002 م،ج1.
15 - محمد مخلوف ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت،2003م ،ج1.
16 - عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ بن خلدون ،تحقيق خليل شحادة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر،بيروت،لبنان،2001م/1421هـ،ج4.
17 - الحسين محمد شواط ، مدرسة الحديث بالقيروان، الجزء الأول، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى ،الرياض ،1411 هجري.
18 - أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ،تحقيق بشير البكوش ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1994،2 م،ج2.
19 - عبد المجيد بن حمدة ،المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، دار العرب،تونس،ط1986،1م.
20 - كمال الدين مرجوني، موقف الزيدية وأهل السنة من العقيدة الإسماعيلية وفلسفتها، دار الكتاب العلمية،بيروت،لبنان،2009 م.
21 - موسى لقبال ،دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ،دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1979م.
22 - مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار لكاتب، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ،د ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، دت.
23 - القاضي النعمان المغربي، المجالس والمسيرات، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليغلاوي،ط1،دار المنتظر، بيروت، لبنان، دت.
24 - القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،ط2 ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة،المغرب،1983م/1403 هـ ،ج5.
25 - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سيرُ أعلام النبلاء، تحقيق بشار معروف عواد، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996م /1418 هـ، الجزء 5.
26 - محمد الطالبي، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ،دط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ،تونس،1968م
27 - نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي،ط1،تبر الزمان، تونس،2004م.
28 - ابراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان،2005م.
29 - محمد بن الحارث الخشني، طبقات علماء إفريقية، تحقيق محمد زينهم و محمد عزب ط1 ،مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر،1993م.
30 - أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن مخلد الشيباني، كتاب السنة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني،ط3،المكتب الإسلامي، بيروت،1993م.تب

- **الرسائل الجامعية :**

1 - محي الدين سليمان إمام مديلي، ابن أبي زيد القيرواني عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية ،2000م.

2 - طارق بن زاوي، مظاهر الزندقة في المغرب والأندلس وآثارها السياسية من القرن 1 هجري الى القرن 7 هجري ،اطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر،2017 م/2018م.

3 - أمبارك بوطارن، تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان وسجلماسة نموذجاً، اطروحة دكتوراه في التاريخ ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006م.

4 - سيدي علي العيد، البدع بالغرب الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين دراسة اجتماعية لمملكة نصر، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر كلية العلوم الاسلامية ،قسم اللغة والحضارة العربية الاسلامية ، تخصص تاريخ وحضارة 2012/2011م.

- **المقالات :**

1 - منوبة برهاني، مجلة الصراط ، مظاهر البدعة ووسائل محاربتها عند محمد رشيد رضا مجلة العلوم الاسلامية، باتنة ،العدد 16 ،2008م.